**جامعة العربي بن مهيدي \_ أم البواقي**

**كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية**

**قسم العلوم الاجتماعية**

**محاضرات مقياس**

**مدخل إلى الفلسفة العامة**

**السنة أولى جذع مشترك علوم إجتماعية**

**( المحاضرة الأولى )**

**الدكتور : خالد عبد الوهاب**

**مدخل :**

يعد الحيوان مجرد واقعة ، لكونه يتقبل العالم والحياة دون دهشة وحيرة ، إذ لا تدعوه للتساؤل . فهو يحيا ويموت لكنه لا يتساءل عن معنى الحياة أو معنى الموت ، يعيش في عالم لا يتساءل عن معناه ، عن أصله ،عن مصيره وعلاقته بالأشياء الأخرى يعد الحيوان مجرد واقعة ، لكونه يتقبل العالم والحياة دون دهشة وحيرة ، إذ لا تدعوه للتساؤل . فهو يحيا ويموت.

أما الإنسان فأمره مختلف ، فهو ليس مجرد شيء أو واقعة ، بل هو موجود ميتافيزيقي في باطنه شعور بالدهشة والانبهار من جراء ذلك اللغز والسر الذي ينساب من الكون ويتحدى الإنسان ، حيث تلاحقه أسئلة تتعجل الجواب :

من أين جئنا ؟ من أوجدنا ؟ ما غاية وجودنا ؟ ما مصيرنا بعد الموت ؟ ما الخير والشر ؟ كيف وجد العالم ؟ ما أصله ومصيره ......؟

ولما كان الإنسان كائنا عاقلا ، يملك فاعلية الذهن ، فهو يحاول أن يقرب لإدراكه هذه الحقائق الكبرى وعلاقته بها : حقيقة الكون ، حقيقة الحياة ، حقيقة الإنسان ومصيره . كل هذه الأسئلة هي من صميم الوجود الإنساني، كما هي محور التفكير الفلسفي، وحولها كانت ولا تزال تدور أبحاث الفلاسفة، ومن أصلها نبعت مذاهبهم.

فالفلسفة إذن هي محاولة لمواجهة هذه الأسئلة التي تلاحق الإنسان في كل مكان وزمان ، وإيجاد أجوبة مناسبة لها تتصف بوحدة النظر ، وعمقه ، وشموليته . إنها البحث في ماهية الأشياء وأصولها وعلاقة بعضها مع بعض ومع الإنسان ووجوده.

**المحور الأول : الفلسفة : أهميتها و صلتها بفروع المعرفة**

**أولا : مفهوم الفلسفة :**

لا يتضح معنى الفلسفة إلا إذا تم النفاذ إلى صميم المشكلات الفلسفيةو الإطلاع على طرق الفلاسفة في التفكير فيها و تحليلها و البرهنة على الحلول التي ينتهون إليها ، و هكذا فكل تعريف للفلسفة لا يأخذ مكانه و لا يكون مفهوما إلا في المرحلة التي يفهم صاحبها هذه المشكلات و البراهين على حلولها ، لأن تعريف الفلسفة أيضا يتوقف على نظرة كل مذهب فلسفي ، و على سمة العصر الذي تنتمي إليه هذه المذاهب و على طبيعة المنهج الذي يتخذه كل من الاتجاهات الفلسفية المختلفة و المشكلات التي يجعلونها محورا لها. تظهر الرسومات والإشكال التي تركها الإنسان البدائي على الكهوف، أن الأسطورة كانت تهيمن على فكره،  وذلك في كل المناطق التي استوطنها. لكنه اخذ يتخلص شيئا فشيئا  من سيطرة الكهنة وقيود  الأسطورة،  وأصبح يعتمد على عقله في تفسير الظواهر التي يشاهدها،  وهنا بدأت إرهاصات الفلسفة التي يصعب تحديد مكانها، وظلت هذه النزعة في نمو متصاعد الى ان عرفت نضجها لدى اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد اين ظهرت كنشاط فكري مهيمن، فما هو المقصود بالفلسفة؟

**أ- الاشتقاق اللغوي** :

من المعروف أن المعنى الاشتقاقي لكلمة **" الفلسفة " (Philosophie)** يعود إلى لفظين يونانيين هما **فيلو (Philo)** و تعني محبة ، و **صوفيا (Sophia)**  و تعني الحكمة ، فيكون المعنى أن الفلسفة هي **محبة الحكمة** . و من بين ما تشير إليه **الحكمة** في العربية النظر الصحيح

و العمل المتقن و صواب الأمر وسداده ، ووضع الشيء في موضعه . وبالتالي فدلالة الكلمة من حيث اشتقاقها اللغو ي أنها تعني : حب الإطلاع ، و ممارسة التفكير أكثر مما تدل على مجرد حب الحكمة .

ويُعتقد أن أول من استخدم مصطلح الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس *Pythagore* ( 572 ـ 497 ق م ) وذلك عندما رفض أن يوصف بالحكيم ، قائلا انه : " من الغرور أن يدعي الإنسان لنفسه الحكمة ، واسم الحكيم لا يليق بإنسان قط بل يليق بالآلهة وكفى الإنسان شرفا أن يكون محبا للحكمة وساعيا وراءها" . لكن  يوجد من يرد المصطلح إلى سقراط (1 ).

المفهوم الاصطلاحي للفلسفة: ليس من السهل العثور على مفهوم اصطلاحي واحد للفلسفة يكون جامعا مانعا، لأن الإجابة على السؤال ماهي الفلسفة؟ يحيلك مباشرة إلى داخل الفلسفة، وليس هذا واقع الحال بالنسبة للعلوم الأخرى كالفيزياء والرياضيات والتي يمكن التعريف بها دون تجشم عناء الدخول إلى شبكة معادلاتها ، ويعد هذا احد الأسباب التي حالت دون وضع مفهوم موحد للفلسفة ، بالإضافة  إلى تعدد مواضيعها. وعليه إذا أردنا تعريف الفلسفة فإننا سنكون أمام تعاريف كثيرة ظهرت خلال مسيرتها الطويلة التي بدأت منذ 26 قرنا .

أولا ـ الفلسفة عند اليونان: لقد مرت الفلسفة اليونانية بأربعة مراحل ( الفكر الأسطوري ، الفكر الطبيعي ، الفكر الإنساني ، الفكر المدرسي ) ، حيث كان مفهوم الفلسفة لديهم يتغير بتغير فكر كل مرحلة حسب اهتماماته والموضوعات التي يتأمل فيها

.1 ـ  أفلاطون: الفلسفة عنده هي علم الحقائق المطلقة الكامنة وراء ظواهر الأشياء، ذلك لان حقيقة العالم عنده ليس كما نعتقد، فما نراه بأعيننا حسب هذا الفيلسوف لا يمثل الحقيقة، وإنما هو مجرد ظلال وصورة مشوهة عن عالم حقيقي مثالي يمكن إدراكه بالعقل وليس بالحواس.

# 2 أرسطو : الفلسفة عنده هي علم المبادئ والعلل الأولى للوجود ، أوهي علم الوجود بما هو موجود. ذلك لأنه كان يفكر في الأسباب التي تقف وراء الظواهر ، وتبين له أن هذه العلل تنقسم إلى أربعة أسباب وهي العلة المادية والعلة الصورية والعلة الفاعلة والعلة الغائية.

# ثانيا ـ العصور الوسطى :

# وفي العصور الوسطى كان يُنظر إلى الفلسفة على أنها تقف على طرفي نقيض مع الدين خاصة في أوروبا. لذلك مُنع الاشتغال بها هناك ، إلا إذا كانت تدور في فلك الدين وفي إطار تعاليم الكتاب المقدس (2 ). وأن تنحصر مهمتها في التمكين للمسيحية ، وبذلك أصبحت  الفلسفة تابعة للعقيدة(3 ). إلا انه وفي نفس الفترة من التاريخ، كانت الفلسفة تتمتع بمكانة معتبرة في العالم الإسلامي لاسيما زمن الخلافة العباسية، وما يلاحظ أن مفهومها لدى فلاسفة الإسلام كان لا يختلف كثيرا عن مفهومها لدى فلاسفة اليونان.

# 1 ـ ابن سينا :

# الفلسفة عند ابن سينا هي استكمال النفس الإنسانية بتصور الأمور والتصديق بالحقائق النظرية والعملية على قدر الطاقة الإنسانية. أي أن الإنسان نشأ جاهلا في معرفته وناقصا في خلقته ولا يستطيع أن يخرج من جهله ،إلا باستعمال التأمل العقلي في قضايا الكون و الإنسان ، سواء تعلق الأمر بالناحية النظرية أم بالجوانب العملية،وهنا فقط يرتفع إلى مرتبة الإنسانية(4 ).

# 2 ـ ابن رشد :

# فعل التفلسف عند ابن رشد ليس شيئا آخر أكثر من النظر في الموجودات واعتبارها من جهة دلالتها على الصانع، أي أن الفلسفة تسمح بالتعرف على الخالق بالنظر إلى مخلوقاته ، ويعتقد انه كلما كانت المعرفة بصنعتها أتم، كانت المعرفة بالصانع أتم.

# ثالثا ـ العصر الحديث :

# بعد الثورة على تراث القرون الوسطى، الذي بدأ في عصر النهضة وتوسع أكثر في عصر الأنوار، فإن الفلسفة عادت لما كانت عليه من قبل، وأصبح التفكير العقلي هو الدعامة التي تستند عليها المعرفة البشرية، ويعبر المفهوم الذي قدمه روني ديكارت للفلسفة عن هذا التحول، فهي عنده تميزنا عن الأقوام المتوحشين، وبها ينبغي قياس تقدم المجتمعات. وقد انعكس هذا الفهم على الحركة العلمية التي أخذت تحقق اكتشافات لا نظير لها في العصور السابقة. لكن ما يؤخذ على هذا العصر انه كان يقدس العقل، وبذلك وقع في التطرف نفسه الذي وقعت فيه الكنيسة سابقا.

# رابعا  ـ الفلسفة المعاصرة : في العقل، بعد أن تأكد لهم أن العقل معرض للخطأ وانه يتأثر بالعواطف والعقائد ، بل ظهرت أراء سلبته كل قدرة على قيادة البشر ، وأصبح بدوره مُسير من طرف قوى

# وكرد فعل على الغلو في الأخذ بالعقل والاعتماد عليه بشكل مطلق في العصر الحديث، ظهرت اتجاهات كثيرة في الفلسفة المعاصرة تنادي بضرورة الحد من الثقة المفرطة اخرى مثل قوة الدفعة الحيوية عند برغسون (5 ).

**ب / المفهوم الاصطلاحي** :

لم يتفق الفلاسفة و المشتغلون بالفكر الفلسفي على معنى واحد و موحد لما يسمى الفلسفة ، إذ أن تاريخ الفلسفة يبيّن بكل وضوح و جلاء اختلاف التعريفات – المفاهيم المقدمة لها ، بل و الأكثر من ذلك أننا في رجعونا إلى تاريخ الفكر الفلسفي إنما نكتشف أن العصر الواحد من ذلك التاريخ إنما يتميز بتعدد و اختلاف و حتى تناقض تعريفات الفلسفة ،

و هذا من المؤكد تتحكم فيه العديد من السباب و المسوغات سنكشف عنها لاحقا ، أما الآن فإننا سنحاول أن نقدم بعض التعريفات الخاصة تبعا لعصور تاريخ التفكير الفلسفي .

**أ - عند اليونان :**

يذهب أب الفلسفة اليونانية **سقراط** ( 107 - 366 ق.م) إلى رفض اعتبار الفلسفة بحثا في طبيعة الكون و عناصره و مكوناته ، و إنما الفلسفة هي بحث في الإنسان و دراسة لمشاكله و قضاياه و حياته و دراسة الخلاق و السياسة ، فالفلسفة في نظره هي محاولة ل ت بيان معاني الأشياء و حقائق الأمور بوضوح .

أما **أفلاطو ن** (110 - 310 ق.م) فإنه سار على نهج أستاذه **سقراط** و جعل من معرفة الذات أهم نقطة في كل بحث فلسفي ، و لكنه لم يلبث أن أرجع للفلسفة طابعها العام ، إذ جعلها تستوعب موضوعات الطبيعة و النفس و الخلاق و ما وراء الطبيعة ، و نضيف هنا أن أفلاطون أصر على أن تكون الفلسفة أسلوبا في العيش و ليست آلية من آليات التفكير و التأمل يقول في محاورة المأدبة **"... فالجاهل لا يحب الحكمة و لا يرغب فيها ، لأن ما ينقصه الجمال و الخير و العلم يرضى عن نفسه كل الرضى ، و لا يعتقد أنه لا ينقصه ..."** ، و في هذا السياق ميز **أفلاطون ن** بين الفلسفة و الرياضيات و بين الفلسفة و التاريخ .

في حين فضّل المعلم الأول **أرسطو**(381 – 311 ق.م) أن يع رّف الفلسفةبعديد التعريفات لعل أهمها أن الفلسفة هي  **" البحث في الوجود بما هو موجود "** أي علم المبادئ أو العلل الأولى للوجود كما أنها أيضا علم العلة الأولى أو الوجود الإلهي الثابت . علم الإلهيات كما قالت العرب أو التيولوجيا La Théologie) ) أي العلم الإلهي الذي يتخذ من الله مبحثا مركزيا باعتباره الموجود الأول كما استخدم **أرسطو** الفلسفة كمرادف للعلم و وعاءا جامعا لكامل المعرفة الإنسانية.

**ب - عند فلاسفة الإسلام :**

عرفت الفلسفة في بلاد السلام بعد حركة الترجمة التي قامت بنقل التراث اليوناني إلى اللغة العربية مما جعلها تنطبع بطابع خاص رغم الادعاءات الاسشراقية التي تنفي عليها الصفة الأصيلة للفلسفة كما هو الحال عند المستشرق الفرنسي **ارنست رينان** و هنا سنورد البعض من تعريفات الفلسفة لدى فلاسفة الإسلام منها :

**1- الكندي** (872 - 803 ) : حيث عرّف الفلسفة بالعديد من التعريفات نذكر منها :

1. - صناعة الصناعات و حكمة الحكم .
2. معرفة الإنسان نفسه تؤدي إلى معرفة العالم الكبر أي المعرفة بالطبيعة و الكون و من ثم ترتقي إلى معرفة الخالق .

جـ - إنها التشبه بأفعال الله تعالى بقدر طاقة الإنسان .

**2- الفارابي** (801 - 627) : نظر إلى الفلسفة باعتبارها الصناعة التي تؤدي إلى إصابة الحكمة لمن يتمتعون بجودة التمييز الناتجة عن جودة الذهن . و اقتناء الحكمة – أي معرفة الحق على طريقة الفلاسفة – يعني اقتناء الأشياء الجميلة نظرا و عملا فهناك في نظره الجمال النظري الذي هو المعرفة النظرية للحقيقة على أساس من التأمل المتصف بالحكمة ، و هناك الجمال العملي الذي هو السلوك الفاضل الذي يتخذ من الم وقف الوسط حدا يلتزم به فلا يتجه إلى أحد الطرفين المرذولين .

**جـ - عند فلاسفة العصر الحديث** :

**\_ رينيه ديكارت** ( 4269- 4927) : في مقدمة كتابه **'مبادئ الفلسفة '** يقول : **"** إن الفلسفة كلها بمثابة شجرة جذورها الميتافيزيقا و جذعها الفيزياء ، و غصونها المتف رعة عن هذا الجذع هي كل العلوم الأخرى و هي ترجع إلى ثلاثة رئيسية : هي الطب ، و الميكانيكا ، و الأخلاق ، و أعني أسمى أخلاق و أتمها ، و هذه هي أعلى درجات الحكمة ، و تفترض معرفة كاملة بسائر العلوم " .

**- فرانسيس بيكون** (4294- 4919) : و يذهب إلى تعريفها من خلال "أن الفلسفة تدع الأفراد جانبا ، و لا تهتم بالانطباعات الأولى التي تحدثها فينا ، و إنما المعاني التي تستمد منها بالتجريد ... و هذا هو دور العقل و مهمته " ، و في هذا السياق نشير إلى أن بيكون لم يتردد في نقد الفلسفة التقليدية و مهاجمتها و تحميلها أو زار الجمود العلمي و الفقر العقلي ، و العقم و العجز عن الإسهام الفاعل في رفاهة الإنسان و تقدمه و سعادته ، و طالب من أجل ذلك بضرورة إصلاح منهج التفكير من خلال كتابه **' الأورجانون الجديد '** .

**د - عند الفلاسفة المعاصرين :**

مثّلت الفلسفة المعاصرة نظرة جديدة في التفكير الفلسفي من حيث المنهج و المنطلقات و الوسائل و الغايات ، و من بين أشكال الفلسفة المعاصرة نذكر العديد من الاتجاهات منها الماركسية و الوجودية و البرغسونية و الوضعية المنطقية و البراغماتية ... الخ .

1. **الوضعية المنطقية :** و تر ى أن الفلسفة ليست البحث في حقيقة الوجود أو طبيعة المعرفة على نحو ما ذهب أتباع الفلسفة التقليدية بل هي مجرد منهج للبحث ، هدفه التحليل المنطقي للغة التي نستخدمها في حياتنا اليومية أو يصطنعها العلماء في مباحثهم العلمية ، رغبة في إزالة اللبس و الغموض الذي يعتري الأفكار ، و بيان عناصرها حتى تبدو واضحة و جلية .
2. **البراغماتية :** الفلسفة عند هذا الاتجاه المعاصر ليست بحثا تأمليا في مختلف القضايا و الموضوعات التقليدية، بل الفلسفة هي التطبيق العملي لمختلف الأفكار و التصورات التي ينتجها العقل البشري ثم فحص نتائج تلك الأفكار ، و بمعنى آخر فإن البراغماتية تعتبر أن الفكرة الصادقة و الصحيحة هي ما يحقق لنا نتائج نفعية – مفيدة و العكس صحيح ، و بغير هذا المعيار ستبقى أفكارنا مجرد تصورات نظريةلا نستطيع الحكم عليها .

**ثانيا : خصائص وأهمية الفلسفة**

إن صمود الفلسفة لأكثر من خمسة وعشرين قرنا، وتجاوزها للعقبات اعترضت طريقها ، وتخطيها للمضايقات التي يقوم بها كل مستفيد من غياب التفكير العقلي في المجتمعات. هذا الصمود يعود في الأساس إلى للطبيعة البشرية، وما تتوفر عليه من قدرات ذهنية ورغبة في المعرفة . والفلسفة بوصفها احد ضروب المعرفة نجدها تتميز بخصائص نذكر منها :

 1 **ـ الشمول :**

انفصال العلوم عن الفلسفة بداية من القرن السابع عشر ، يعني أن هذه العلوم أخذت في الاتجاه نحو التخصص في احد فروع المعرفة ، فنجد علم الفلك يهتم دراسة الأجرام السماوية والطب يستهدف معالجة الأجسام من الأسقام وكذلك والفيزياء و الكيمياء و غير ذلك ، ثم أخذت هذه التخصصات في الانقسام إلى فروع أيضا. إلا أن  الفلسفة ظلت كما كانت منذ ظهورها لدى اليونان تتجنب التخصص حتى عندما عند ظن البعض أنها أفرغت من محتواها عندما انفصلت العلوم عنها تباعا، واستمرت تنشد الشمولية في كل ما تدرس.

إنها لا تروم تفسير المشكلات الجزئية مثل ما نجده في  العلوم العقلية أو التجريبية ، ويمكن الوقوف على هذه الخاصية بالنظر لمباحثها الأساسية ، فعندما يبحث الفيلسوف في الوجود مثلا فإنه لا يركز على المكونات الأساسية للكواكب والنجوم،  والقوانين التي تحكم سيرها في الفضاء ، وإنما يريد الإجابة على أسئلة اشمل نحو ما هو مصدر الكون ؟ و ماهي طبيعته ؟ و ما هو مصيره ؟ و هي أسئلة ليس من السهل أن يقدم العالم إجابة مقبولة عنها، وان حاول العالم أن يدرس مصير الكون فإنه في واقع الأمر يكون قد غادر مخبره وولج عالم الفلسفة. و كذلك الأمر في مبحث الابستومولوجيا إنها لا تريد الكشف عن أساسيات الفيزياء ، ودقائق الرياضيات، ولكنها تريد الكشف بشكل عام عن مصدر الحقيقة ومدى مصداقيتها، والأمر نفسه ينطبق على مبحث الأخلاق والقيم والجمال. والشمولية لا تعني أن الفلسفة بإمكانها الرد على كل الأسئلة التي يثيرها الذهن البشري ، لأن هذا يتجاوز الطاقة التي يتوفر عليها أي فيلسوف لا سيما في ظل توسع المعارف الذي عرفها عصرنا، وإنما تحاول مقاربة المسائل التي يطرحها الذهن البشري بصفة كلية و شاملة، على أن لا يُفهم من هذا الكلام أن مقاربتها الكلية تكون سطحية ومبتذلة . وفي الحقيقة فان الشمولية نجدها و لو بدرجة اقل في العلوم بدليل أن التجارب الفردية تتحول إلى قانون عام وشامل ( 6)وهاو أشهر العلماء انشتاين يحاول صياغة معادلة بإمكانها تفسير كل شيء لكنه اكتفى بالنظرية النسبية.

 2 ـ **الاتساق :**

الاتساق cohérence عند لالاند يكون عندما يغيب التناقض والتنافر، وبدل ذلك يحل التماسك ( 7). ويعتبر الاتساق أهم [خصائص الفلسفة](http://elearning.univ-annaba.dz/mod/resource/view.php?id=7112) منذ ظهورها ، بحيث يحرص الفيلسوف على تجنب التناقض في أفكاره ، لأنه متيقن من كونه سيخرج  من دائرة الفلاسفة والمفكرين لو ثم العثور على احد أرائه لا ينسجم مع نسقه الفلسفي . فإذا كان من القائلين بفطرية الأفكار مثل أفلاطون ، فلا ينبغي أن يقر بالأصل التجريبي للرياضيات، لأن هذا الموقف يتعارض مع مسلماته ومبادئه التي تستبعد الحواس كطريق للمعرفة الصحيحة . و في المقابل فإن جون لوك لو انتهي إلى القول بأن عناصر الرياضيات قبلية فأن هذا الحكم سيحط من قيمته كفيلسوف لأنه لا ينسجم مع فلسفته العامة المبنية على التجربة.

* + وفي الحقيقة فإن الحرص على عدم التناقض والانسجام الفكري ، هو العامل الرئيسي في ظهور انساق فلسفية مختلفة بين الفلاسفة ، وأن قيمة هذه الأنساق تزداد كلما خلت من التناقض ، وهذا ما يسمى بالبناء الفكري للفيلسوف. ومن ذلك فلسفة أفلاطون المثالية ، وكيف انعكست على كل المسائل الفلسفية التي تناولها . وكذلك أرسطو والفارابي و ابن رشد و روني ديكارت وإيمانويل كانط وجان جاك روسو، وجون لوك، وتوماس هوبز ، فريدريك هيجل . و غيرهم من أصحاب الأنساق الفلسفية
  + وقد يجر هؤلاء الفلاسفة الذين يبحثون عن اتساق أفكراهم وخلوها من التناقض لمعارضة ما هو سائد لاسيما في مجال الدين والسياسة. ولكن مع ذلك نجدهم يفضلون سلامة أنساقهم الفكرية من التناقض، حتى لو جلب لهم هذا الحرص الكثير من المتاعب ، بل قد يتفاقم الوضع فيجد الفيلسوف نفسه أمام تهم خطيرة قد تزج به في السجون او النفي كما حدث مع ابن رشد الذي تعرض لنكبة أبعدته عن موطنه و تسببت في حرق كتبه، أو الإعدام كما وقع مع شهيد الفلسفة سقراط . والأمثلة كثيرة للمفكرين الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل الحرص على اتساق أفكارهم . لأنهم يؤمنون بأن الفلسفة ليست فكرا مرتجلا، وليست شطحات فكرية لا يعرف مصدرها، وليست شذرات من الآراء من هنا وهنالك؛ وإنما هي تفكير منظم، وبنية من الأفكار والنظريات.
  + 3 ـ ا**لتعمق :**
  + إذا كانت الفلسفة تهتم بالإجابة عن القضايا الكبرى ، فهذا لا يعني أنها تتميز بالسطحية. بل إنها على العكس من ذلك تعمل على التعمق إلى ابعد الحدود في القضايا التي تناولتها بالبحث. فهذا أفلاطون عندما أراد أن يقدم تصوره للعدالة نجده يتوسع ويتعمق أكثر لدرجة انه ألف كتاب الجمهورية بغرض تحديد معنى العدالة . فالقول مثلا بأن العدالة هي أن يأخذ كل ذي حق حقه مفهوم لا يفي بمضمون العدالة عنده، لأنه لو افترضنا أن شخصا استودعك أسلحة ثم عاد بعد فترة مصابا بمرض عقلي ليطالب بوديعته، فإنه من الصواب أن تمنعه منها، لأنها أصبحت تشكل خطرا عليه وعلى من يحيطون به ( 8) فانظر إلى التعمق في هذه المسالة. ثم واصل أفلاطون الانتقال من تعريف إلى آخر وكانت النتيجة تأليف كتاب الجمهورية، دون أن يعثر على تعريف جامع مانع للعدالة .  أما ديكارت فان التعمق عنده يبرز عندما أراد البحث في حقيقة وجود الإنسان معتمدا على منهج الشك النقدي ، فاخذ يشك في كل ما وصل إليه من معارف بما في ذلك القول بأنه موجود. إلى أن وصل إلى الشك في عملية الشك نفسها التي يقوم بها، ليتبين له استحالة الشك في كونه يشك ، وهنا تأكد له انه يفكر ، ومادام يفكر فهو موجود. فقال أنا أفكر إذا أنا موجود. وكل ذلك بفضل خاصية التعمق في الفلسفة، والابتعاد عن التسرع في الأحكام والسطحية في التفكير.
  + 4 ـ **الدهشة:**
  + تنشأ الدهشة عند إدراك صعوبة السؤال ، والدهشة في لسان العرب تأتي بمعنى ذهاب العقل من الذهل والوله وقيل من الفزع ، ودهش الرجل يعني تحير. والاندهاش لا يكون أمام الخوارق والغرائب فقط ، بل  يمكن أن ينشأ من مشاهدة ما هو مألوف لكن بشرط أن ننظر إليه من زاوية مختلفة  وبشرط أن نتجاوز سلطة العادة عند الالتفات إليه  ، لأن العادة تحاول إقناعنا بأن كل شيء طبيعي لا يستدعي أي تساؤل أو تعجب أو اندهاش.
  + إن الاندهاش هو أصل التفلسف وهو مبدأه وجوهره الثابت وقوته المحركة، ولو زال لتوقف التفلسف نفسه . وعندما كان هيجل يتحدث عن الارتباك واعتبره أهم شيئ في الفلسفة فانه كان يقصد به الدشهة (9). صحيح أن الذي يجرب الدهشة سيصاب بخيبة أمل وربما يحس بأنه كان مخدوعا في معلوماته ، لكن ذلك يفضي به في النهاية للتحرر من الأوهام . وقد تخرسه الدهشة إلا انه لا يلبث أن يصحو منها ويواصل سيره بدافع الشوق نحو المعرفة.
  + ثم أن الاندهاش ليس يخص الفلاسفة فقط ، بل يدخل في صميم وجودنا البشري(10) . إلا انه يبدأ في التراجع مع تقدم العمر بفعل العادة التي تهيمن على السلوك الحركي والسلوك الفكري على السواء لدى الكثير من الناس. مع أن تجربة الدهشة كانت ملازمة لنا في مرحلة الطفولة ، فالأطفال تراهم يعبرون عن دهشتهم بحركات وإشارات وكلمات أمام أشياء تبدو لنا طبيعية جدا لدرجة تزعجنا أحيانا. إلا أن أسئلتهم هذه  ستتراجع مع مرور الوقت، وسيصيبهم ما أصابنا نحن الكبار من الخضوع للعادة . ويمكن الوقوف على الأثر السلبي للعادة ودورها في تقليص قدرتنا على الاندهاش من خلال هذا المثال الذي ورد في رواية عالم صوفي الفلسفية.
  + انه الصباح الام والأب وتوماس الصغير يتناولون طعام الإفطار في المطبخ، تنهض الأم وعندها يستفيد الأب من كونها تدير لهما ظهرها، ليرتفع في الهواء ويطير أمام عيني توماس الجالس مكانه. ما الذي سيقوله توماس برأيك ؟ ربما أشار بأصبعه إلى أبيه قائلا أبي يطير.
  + لاشك في أن ذلك سيفاجئه قليلا لكنه لن يثير عنده استغرابا فائق الحد ، فالأب يقوم على أية حال بأعمال غريبة كثيرة ، مما لا يجعل دورة تحليق في الهواء تغير شيئا في نظره. فهو يراه كل يوم يحلق ذقنه بآلة غريبة، كما يراه أحيانا يتسلق السطح ليغير اتجاه هوائي التلفزيون.
  + الآن نأتي إلى الأم. لقد سمعت ما قاله توماس ، فاستدارت بحزم . فكيف ستكون برأيك ردة فعلها على منظر الأب محلقا في الهواء ؟ لاشك أنها ستفلت إناء المربى مطلقة صرخة قوية ، وربما لزم الأمر استدعاء الطبيب بعد أن يعود الوالد إلى كرسيه . (11)لماذا كانت ردتا فعل الأم وتوماس مختلفتين بنظرك ؟ يجيب المؤلف : إنها قصة عادة لقد تعلمت الأم أن الناس لا يستطيعون الطيران، بينما لم يتعلم توماس ذلك انه لا يعرف بعد جيدا ما هو الممكن عمله في هذا العالم أو لا ؟ ويواصل إبداء أسفه من استسلامنا للعادة فقال : المحزن إننا نتعود ونحن نكبر على أشياء كثيرة ونخلص أن نرى كل شيء طبيعيا، ومع العمر لا يظل هناك ما يدهش الكثير منا. إننا نفقد بذلك شيء مهم، وهو الذي يحاول الفلاسفة إيقاظه بداخلنا انه الدهشة . في حين الفيلسوف هو إنسان لم يستطيع يوما أن يتعود على العالم ، و سيظل العالم بالنسبة له شيئا غريبا ملغزا (12) .

**الهوامش :**

1ـ فؤاد زكريا : التفكير العلمي ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، د ط ، 1978 ، ص 37   .

2ـ اندري لالاند : موسوعة لالاند الفلسفية ،ترجمة خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت – باريس، ط 2 ، 2001 ،  ص 178 .

3ـ افلاطون : الجمهورية، ترجمة حنا خباز ، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د ط ، د ت، ص 13 .

4ـ عبد الغفار مكاوي : لم الفلسفة ، منشاة المعارف الاسكندرية، د ط ، 1981 ، ص 31 .

5ـ المرجع نفسه ، ص 32

6 ـ جوستاين غاردر ، [تاريخ الفلسفة](http://elearning.univ-annaba.dz/mod/page/view.php?id=7203) ، ترجمة حياة الحويك عطية ، دار المنى ، ط 2 ، د ت ، ص 24 ـ 25

7 ـ المرجع نفسه ـ

8ـ ابن سينا : النجاة ص 138

9ـ جميل صليبا : المعجم الفلسفي، ج1  ، دار الكتاب اللبناني ، د ط ، 1982  ص 452

10ـ الطاهر وعزيز : المناهج الفلسفية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط 1 ، 1990 ص 42

11ـ جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج 1 ، ص 343 .

12ـ الطاهر و عزيز: المناهج الفلسفية ، مرجع سابق ، ص 50 ـ 51.